سيرة الصحابي عمرو بن معدي كرب الزبيدي

م. د قاسم جوده عداي الازيرجاوي
مديرية تربية بغداد الرصافة الثانية

Biography of the companion Amr ibn Maadi Karb Zubaidi

By
Instructor Dr. Kassim Jodah Adday Al –Azergawi
Directorate of Education Baghdad Resafa
jwdhqasm75@gmail.com

الملخص:

أهتم هذا البحث بدراسة شخصية الصحابي عمرو بن معدي كرب الزبيدي، الذي كان له اثر في حياة العرب في الجاهلية، والاسلام، اخباره في الحياة الجاهلية كانت مفعمة، بالبطولة، والمغامرة وعدٍّ من فرسانها، وكان شاعر محسن، فقد شارك في احداث قومه، الذي يعود نسبهم إلى قبيلة مذحج من العرب القحطانية، لقب بألقاب كثيرة، و كان رجلاً مزواج لكنه لم يلتزم كثيراً بروابط تلك العلاقة، جاء إلى المدينة المنورة في حياة النبي محمد(صلى الله عليه واله)، واسلم، لكنه ارتد وشكل ارتداده خطراً على الاسلام، فأرسلت الجيوش لمقاتلته ، وسرعان ما عاد إلى الاسلام ، وحسن اسلامه. وعندما بدأت مرحلة نشر الاسلام خارج حدود الجزيرة العربية، ألتحق ملبياً دعوة الخلافة، وشارك في بواكير الفتوح الاسلامية في بلاد الشام، والعراق، وفارس، ابدى بطولات سجلتها كتب التاريخ في معركة اليرموك ضد الروم، وفي جبهة العراق لمع نجمه في معركة القادسية تلك المعركة التي ترك فيها بصمات واضحة، فقد قتل صناديد الفرس قادتهم، وشارك مع أخوته المجاهدين في عبور نهر دجلة قاصداً مدينة المدائن عاصمة الدولة الساسانية، ومن الجدير ذكره إنَّ النصر يتحقق في بعض المعارك على يديه، اختلف في طريقة وفاته لكن الراجح أنه انهى مشوار حياته الزاخر بالأحداث، والبطولات شهيداً في معركة نهاوند سنة (٢١هـ/ ٦٤١م).

الكلمة المفتاحية: (عمرو، الرسول، الفتوح).

ABSTRACT

This research was interested in studying the personality of the companion Amr bin Muadi Karb Al-Zubaidi, who had an impact on the lives of Arabs in pre-Islamic times, and Islam, his news in pre-Islamic life was full of heroism, adventure and a promise from his knights, and he was an optimistic poet, so he participated in the events of his people, who return Attributed to the tribe of the Arab tribe of Qahtan, nicknamed many titles, and he was a married man, but he did not adhere to the ties of that relationship, came to Medina in the life of the Prophet Muhammad (peace

be upon him and his family), and Islam, but he returned and his apostasy posed a threat to Islam. so I sent Armies to fight him, and soon he returned to Islam, and his Islam became good, and when the stage of Nash began T Islam outside the borders of the Arabian Peninsula, joined the call of the caliphate, and participated in the early days of the Islamic conquest in the Levant, Iraq, and Persia, he showed tournaments recorded in history books in the battle of Yarmouk against the Romans, and in the front of Iraq with his star in the battle of Qadisiyah that battle in which he left fingerprints Obviously, the Persians of the Persians killed their leaders, and he participated with his Mujahideen brothers in crossing the Tigris River to the city of Al-Madaen, the capital of the Sassanid state. In the Battle of Nahawand in the year (21 AH / 641 AD)

Key words: (Amr ,Prophet, ,Conquest)

المقدمة:

يزخر التاريخ الإسلامي بالعديد من رجالاته الذين كان لهم أثر كبير في احداثه السياسية، والاجتماعية، والثقافية، ومن هؤلاء الصحابي عمرو بن معدي كرب الزبيدي. اختص هذا البحث بتلك الشخصية التي يعود نسبها إلى صعب بن سعد العشيرة بن مذحج من العرب القحطانية، عاش اكثر سنين عمره في الجاهلية، وقد بين البحث بعض ملامحها، وأنهى حياته شهيداً سنة (٢١هـ/٦٤١م)، وقد عدَّ من فرسان العرب، وابطالهم، شاعر محسن، أسلم في حياة النبي محمد(صلى الله عليه واله)، لكنه سرعان ما أرتد بسبب طغيان ميولة إلى العصبية القبلية، ويعد من الشخصيات التي لها اثراً مهماً في الاحداث التاريخية إبان دولة الرسول، والخلافة الراشدة، وقد لمع نجمه من خلال مشاركته في الفتوح الاسلامية في جبهتي بلاد الشام، والعراق تميز بشجاعته الكبيرة التي أسهمت في حسم بعض المعارك لصالح المسلمين، لكنه مع ذلك كان ذو شخصية متمردة لا تخضع بسهولة لقائد او امير اوقعته في العديد من المشاكل.

اسمهُ ونسبهُ وكنيتهُ:

هو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد الاصغر وهو منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن الأكبر بن الحارث ابن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج الزبيدي(ابن سعد، ١٩٨٦،ج٥، ص ٥٢٥)، ويكنى بأبي ثور (البخاري، ١٩٦٥، ج ٦، ص ٣١٢)، وأمه سلمي بنت الحارث بن مرة (البلاذري، ١٩٧٩، ج ١١، ص ٢٦٣)، وقيل أسيلة بنت قيس من بني عجل (ابن خياط، ١٩٩٣، ص١٣٦).

ألقابهُ:

لُقب عمرو بالقاب كثيرة منها: فارس العرب (ابن سعد، ١٩٨٦، ج٥، ص ٥٢٥)، والبطل الكرار (الذهبي، ١٩٨٥، ج١، ص ٤٩)، والشجاع المشهور (ابن الاثير، ١٩٩٢، ج٢، ص ٦٠)، وعد من فرسان العرب الأربعة في الجاهليّة والإسلام (ابن الفقيه الهمذاني، ١٩٩٦، ص ٢٠٩)، ولُقب بالسيّد، وبه كُنِّي (ابن سيدة، ١٩٩٦، ج١، ص ١٦٣)، وفارس زبيد (الهيثمي، ١٩٨٨، ج٩، ص٤١٥)، وفارس اليمن، وهو يفوق في الشدّة، والبأس على زيد الخيل الفارس المعروف (الاصفهاني،٢٠٠٢، ج١٥، ص ١٤٠) لكنه مع ذلك كان عصي النفس، أبيها، فيه قسوة الجاهلية (الزركلي، ١٩٨٥، ج٥، ص ٨٦).

وفي رواية تمثل رأي أحد النسابة المعروفين بقبيلة زبيد، وبعمرو بن معدي إذ روي أنَّ مجموعة من الأنصار مروا، بدغفل النسابة[١]، بعد أنّ ذهب بصره، فسلَّموا عليه، فقال لهم: من القوم؟ قالوا: من اليمن، فقال: أصحاب مجدها التليد، وعزها العميم كندة ؟ قالوا: لا ، قال: فأنتم الطوال قصبا، الممحضون نسبا، بنو عبد المدان؟ قالوا: لا، قال: فأنتم قادتها في الزحوف، واضربها بالسيوف، رهط عمرو بن معد يكرب ؟ قالوا: لا، ... (ابن حمدون، ١٩٩٦، ج ٣، ص ٤٣٠).

حياته في الجاهلية:

وروي أنّ عمرو بن معد يكرب كان يقال له: مائق بني زبيد، ووصل إلى أسماع قبيلة بني زبيد أنّ خثعم تريد الاغارة عليهم، فستعدوا لهم، وحشد معد يكرب بني زبيد، ومن جانبه دخل عمرو على أخته، وطلب منها إعداد طعام كثير حتى يشبع ، وقال لها: أنّي غدا لكتيبة، وفي هذه الاثناء جاء أبيه معد يكرب، فأخبرته ابنته، فقال: هذا المائق يقول ذاك ؟ قالت: نعم، قال: اسأليه ما يشبعه، فسألته، فقال: فرق[٢] من ذرة، وعنز رباعية(وهي العنز التي تبلغ من العمر عامين)، وكان مقدار الفرق أنداك ثلاثة أصوع[٣] ، فصنع له ذلك (الاصفهاني، ٢٠٠٢، ج١٥، ص ١٤٠).

جهزت أخته ما أراد، وذبحت العنز ، فجلس عليه، واكله كله، وفي الصباح أتتهم خثعم، فتصدوا لها، وكان عمرو يراقب الوضع عن كثب، وعينه لا تبرح لواء ابيه، فوضع رأسه على الوسادة قليلاً ، فإذا لواء أبيه قد وقع، فقام كأنّه شهاب حارق، وتلقى والده مهزوماً من المعركة وقال له: اليوم ظلم، فقال له ابيه: إليك يا مائق، وهنا تدخل رجالات زبيد، وطلبوا منه افساح الطريق له فإن قتل ارتحت منه، وإن ظهر فهو لك، فأعطاه سلاحه فركب، ثم اقتحم خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم، ثم كرّ عليهم، وفعل ذلك عدة مرات، وحملت عليهم قبيلة بنو زبيد، فتقهقرت خثعم، وقهروا، فقيل له يومئذ : فارس زبيد (الاصفهاني، ٢٠٠٢، ج١٥، ص ١٤٠-١٤١.). وقال الشاعر:

إذا أنت ضاقت عليك الأمور فناد بعمرو بن معدي كرب

(ابن شهر آشوب، ١٩٥٦، ج٢، ص ٣٣٣)

وقال عمرو بن معدي كرب: قاتلنا بني سليم فما أجبناهم، وسألناهم فما أبخلناهم، وهاجيناهم فما أفحمناهم – أي ما وجدناهم جبناء بخلاء مفحمين– (العاملي، ١٩٦٤، ج١، ص ٢٧)

وكان عمرو نهم يحب الطعام حباً جماً إذ أنهُ يأكل عنزا كاملة، وفرقا من ذرة، وروي أنه أكل ذلك، ثم تناول بعدها كبشا مطبوخا، إذ قامت امرأته بإيقاد النار، وطبخت له كبشا، وكان يأخذ عضوا عضوا، فيأكله، وعندما شاهدت القدر لم تجد فيه غير المرق (ابن حمدون، ١٩٩٦، ج٩، ص ١٠٠).

ولم تزودنا المصادر التاريخية، بالصفات الجسمية لعمرو بن معدي سوى واحدة، فهي عندما تصف رجل عظيم الجسم تقول: ورجلاه تخطان، بالأرض، وهو راكب على فرسه، وهو دليل على الضخامة، لكنها احجمت عن ذكر ذلك، ومن الطبيعي أنَّ يمتاز بالضخامة وإلا كيف لهُ أنَّ يأكل كل هذا الطعام، وزودنا الاصفهاني[٤]، برواية أنفرد بها تبين ضخامة جسمه إذ قال: وكان الخليفة عمر إذا شاهد عمرو بن معدي كرب يقول: الحمد لله الذي خلقنا، وخلقه تعجّبا من ضخامة جسمه (الاصفهاني، ٢٠٠٢، ج ١٥، ص ١٤٣).

وتزوج عمرو بن معدي كرب امرأة من كندة، وأقام معها ثلاثة ايام، وخاف أن يغتال، فتركها وقال لها: إن ولدت ولداً، فسميه خزرا، وإن ولدت بنت، فسميها عكرشة ثم رحل عنها، فولدت غلاما، فسمته خزرا، فشب الغلام في قبيلة كندة ولما اشتد عوده نادى فيهم بالغزو، فخرج حتى غزا بني زبيد فإذا هو بعمرو في عسكر كبير وهو لا يعرفه، فالتقت الخيلان، فهجم خزر على أبيه، فأخذه، فسأله أن يتركه، فقال: لو كنت عمرو بن معدي كرب ما فعلت، فقال: أنا عمرو، قال: وإنك لعمرو، قال: نعم، وكانت أمه قد أخبرته بخبر ابيه، وما طلبه منها، فخلى سبيله، فقال عمرو يا خزر ما تجمعني معك أرض، فإن رغبت، فارتحل، وأقيم أنا في هذه البلاد وإن شئت ارتحلت أنا وأقمت أنت، فقال: أنا أحق بالرحلة منك، فذهب خزر حتى سكن صنعاء، وبقي فيها دهرا ثم خرج في بعض غاراته، فلقي أباه في خيل كثيرة، وهو رئيسها وشد عمرو على رئيس القوم، فقتله، فلما انكشفوا عرفه، فأخذ سيفه ليقطع يده، فأمسك عن ذلك (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٤٦، ص ٣٩٦).

تلك الرواية تبين أن الجينات الوراثية تنتقل من الاباء إلى الابناء، فشجاعة خرزا من شجاعة ابيه عمرو، كما تبين نوع الحياة السائد في الجاهلية القائم على الغزو والاغارة.

كما تزوج عمرو بن معد يكرب، امرأة من مراد يقال لها ريحانة، ولكنه تركها مغيرا قبل أن يدخل بها، فلما عاد أخبروه أنّه قد ظهر بها وضح – وهو داء تحذره العرب – فطلّقها، وتزوّجها

رجل آخر، وسمع عمرو بذلك، وعرف أن كل ما قيل فيها باطل، فأخذ يشبّ بها، فقال قصيدته وهي طويلة :

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرّقني وأصحابي هجوع

(الاصفهاني، ٢٠٠٢، ج١٥، ص١٤٩)

اسلامه:

كان لعمرو بن معدي كرب معرفة بنبوة النبي محمد (صلى الله عليه واله) قبل أن يبعث، وجاءت تلك المعرفة من قبل بعض الكهان، فقد روي عنه انه كان يعلم أن محمدا رسول الله (صلى الله عليه واله) قبل أن يبعث، وقد علم ذلك من احد الكهان إذ اخبره بظهور نبي صادق، يأتي بكتاب ناطق، يدعو إلى الصلاح، والفلاح، ويعطل كل سلوكيات الجاهلية، و اسمه محمد، وعزه سرمد، وخصمه مكمد (الصالحي الشامي،١٩٩٣، ج٢، ص ١٩٢).

ولما بُعث النبي محمد (صلى الله عليه واله)، سارع عمرو إلى قيس بن مكشوح المرادي، وهو سيد القوم، وقال له إنك سيد قومك ، وقد وصل إلى اسماعنا أن رجلاً من قريش اسمه محمد قد ظهر، بالحجاز يقول إنه نبي، فلنذهب إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبيا كما يزعم، اتبعناه، وإن كان غير ذلك تركناه، والخشية إن يسبقنا رجل من قومنا فيسيد علينا، رفض قيس أنّ رأي عمرو وقرر عدم الذهاب معه، فركب عمرو حتى وصل المدينة، فقال حين دخلها من زعيم أهل هذه البحيرة من بني عمرو بن عامر (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٤٦، ص٣٧٢).

ومن الجدير بالذكر أنهُ لم يأتي لوحده، وإنما كان بمعية عشرة من زبيد، وكان سيد البحيرة سعد بن عبادة، فأقبل عمرو يقود فرسه حتى وصل ببابه، فخرج إليه سعد، ورحب به، واكرمه مع ابناء قبيلته، ثم أخذه إلى النبي (صلى الله عليه واله)، فأسلم، وأقام أياما في المدينة، وأجازه رسول الله (صلى الله عليه واله)، كما كان يجيز الوفد، واقفل راجعاً إلى بلاده (ابن سعد، ١٩٨٦، ج٥، ص ٥٢٦)، وكان اسلامه سنة تسع (ابن الاثير، ٢٠٠٤، ج٤، ص ١٣٣).

وفي رواية أخرى حول اسلامه، وكان وقتها بعد عودة الرسول (صلى الله عليه واله) من تبوك إلى المدينة إذ اقدم عليه عمرو، وقال له النبي (صلى الله عليه واله): أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر، فقال: يا محمد ، وما الفزع الأكبر، فإني لا أفزع، فقال: يا عمرو إنه ليس مما تحسب، وتظن، إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة، فلا يبقى ميت إلا نشر ولا حي إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحة أخرى، فينشر من مات ويصفون جميعا، وتنشق السماء، وتهد الأرض، وتخر الجبال، وتزفر النيران، وترمي بمثل الجبال شررا، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه، وشغل بنفسه، إلا ما شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا ؟ قال: ألا إني أسمع أمرا

عظيما ، فآمن بالله ورسوله ، وآمن معه من قومه ناس، ورجعوا إلى قومهم، ثم إن عمرو بن معدي كرب نظر إلى أبي بن عثعث الخثعمي، فأخذ برقبته، ثم جاء به إلى النبي (صلى الله عليه واله)، فقال: أعدني على هذا الفاجر الذي قتل والدي، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله) أهدر الاسلام ما كان في الجاهلية، فانصرف عمرو مرتدا (المفيد، ١٩٩٣، ج١، ص ١٥٩).

تلك الرواية أنَّ دلت على شيء انما تدل على سيادة روح الجاهلية، وتمكنها في نفوس البعض، لا سيما منْ قضى سنين عمره في الغزو، والقتال، والاسلام كما هو معروف دين تسامح يدعو إلى نبذ العنف إذ قال تعالى:" وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (سورة فصلت، آية ٣٤).

وفي عودة عمرو من المدينة قام بالإغارة على قوم من المسلمين، وذهب إلى قومه، فاستدعى رسول الله (صلى الله عليه واله)، علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأمره أن يجهز جيشاً من المهاجرين، ويكون أميرا عليهم، وأرسله إلى بني زبيد، كما أرسل خالد بن الوليد في مجموعة من الأعراب، وأمره أن يقصد الجعفي، وإذا ألتقى الجيشان يكون علي اميرا عليهم (ابن سيد الناس، ١٩٨٦، ج٢، ص ٢٩٢).

تحرك جيش المسلمين نحو الهدف المرسوم، ووضع الإمام علي(عليه السلام)، خالد بن سعيد بن العاص على مقدمته، وفي حين أن خالد بن الوليد وضع أبا موسى الأشعري على مقدمته، وكانت الجعفي قد سمعت بقدوم جيش المسلمين لذلك افترقت فرقتين، الاولى ذهبت إلى اليمن، وانضمت الثانية إلى بني زبيد، ووصل ذلك إلى اسماع الإمام علي (عليه السلام)، فكتب إلى خالد: أن يتوقف حين وصول كتابه، لكن خالد لم يقف، فكتب إلى خالد بن سعيد أن يتعرض خالد ويحبسه، فاعترضه وحبسه، وأدركه الإمام علي (عليه السلام)، وعنفه لعدم اطاعة الأمور، ثم سار بالجيش حتى ألتقى بني زبيد، بوادِ كشر، فلما شاهدوه بنو زبيد قالوا لزعيمهم عمرو: كيف أنت يا أبا ثور إذا بارزت هذا الغلام القرشي، فأخذ منك الإتاوة ؟ قال سيحكم الميدان بيننا وخرج وصاح هل من مبارز؟ فبرز إليه الإمام علي (عليه السلام)، وفي اثناء ذلك طلب خالد بن سعيد من علي(عليه السلام) أنّ يبارز عمرو لكن الإمام أبى ذلك، وبرز إلى عمرو، وصاح به صيحة عظيمة، فانهزم على اثرها عمرو، وخسر أخوه، وابن أخيه الذين قتلوا، وأسرت امرأته ركانة بنت سلامة، مع بعض النسوة، ورجع علي (عليه السلام)، ونصب على بني زبيد، خالد بن سعيد، ليتولى قبض صدقاتهم، ويؤمن من عاد إليه مسلماً (المفيد، ١٩٩٣، ج١، ص ١٦٠).

لا نعلم صراحة السر وراء تلك الصيحة العظيمة التي افقدت عمرو بن معدي كرب رباطة جأشه، وهو الفارس الشجاع الذي خبر الحروب، ويبدو أنهُ لم يألف مثل هكذا رجل، واقصد الإمام

علي(عليه السلام)، مجندل الابطال، ولكن هذا الهروب لا يقلل من قيمة، وشجاعة، وبسالة عمرو، والفرار من الحرب عار كما هو معروف إلا من سيف علي (عليه السلام).

وكان الخليفة عمر يسئل كثيراً عن غاراته، فيقول: قد محا سيف علي الصنائع (ابن شهر آشوب، ١٩٥٦، ج٢، ص٣٣٣) في إشارة إلى تركه ساحة المعركة حين خرج لمقاتلة الإمام علي(عليه السلام).

قال العوني:

ومـن منهم قـد ابـن ود بسيفه وقاد ابن معدي بالعمامة خاضعا
وكان ابن معدي حين يلقاه واحد يعد بألـف مـنهم أن يـدافعا
وكـان أبـو حفص يلذ حديثه بما كان مـن غاراته قبل شائعا
فنباه عنـه إذ أتـى بـحديثه علي فأضحى سـاكنا متراجعا
فان قيل حدث قال قد جاء من محت صنائعه بالسيف تلك الصنائعا.

(ابن شهر آشوب، ١٩٥٦، ج٢، ص ٣٣٣).

أستثمر الخليفة عمر بن الخطاب خلال فترة خلافته ما حدث لعمرو بن معدي على يد الإمام علي (عليه السلام)، وانسحابه من ساحة المعركة حين ارتداده، وهو البطل الذي تضرب به الامثال، وانسحابه منها بهذا النحو، إذ كتب إليه عمر بن الخطاب في أمر أنكره عليه، وغدر تخوفه منه: أما والله لئن أقمت على ما أنت عليه، لأبعثن إليك رجلا تستصغر معه نفسك، يضع سيفه على هامتك، فيخرجه من بين فخذيك، فقال عمرو لما وقف على الكتاب: هددني بعلي والله (ابن ابي الحديد، ١٩٦١، ج١٠، ص ٢٥٦).

ليس بغريب أنَّ يلجأ الخليفة عمر إلى الإمام علي (عليه السلام)، وهو يعرفه حق المعرفة، وبطولاته في غزوات الرسول شاهد عيان عليها، ويكفي موقفه يوم الخندق حين خرج لمقاتلة عمرو بن ود العامري، إذ قال الرسول (صلى الله عليه واله): برز الايمان كله ضد الكفر كله، وضربة علي يوم الخندق تعادل عمل الثقلين إلى يوم القيامة.

وفي رواية تبين عظيم ما قام به الإمام علي (عليه السلام) في ساحة المعركة حين مقاتلته عمرو بن معدي كرب من جهة، وهي تبين أنَّ عمرو لم يكن بالفارس الهين من جهة أخرى إذ طلب من المسلمين مبارزتهُ، إذ روي عن يونس النحوي اللغوي قولهُ أنهُ حضر مجلس الخليل بن أحمد العروضي، وقال الخليل: حضرت مجلس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وقد غالى في سب علي، إذ خرج عليه أعرابي على ناقة له، فلما رآه الوليد في منظرته قال: ائذنوا لهذا الأعرابي، فإني أراه قد قصدنا، وجاء الأعرابي، وربط ناقته، بطرف زمامها، ثم أذن له، فدخل،

فأورده قصيدة لم يسمع السامعون مثلها جودة قط، قال: فقبل مدحته، وأجزل له العطاء ، وطلب منه أن يهجوا عليا، لكن الأعرابي رفض، وقال: والله هو أحق منك، بالمديح، وأنت أولى منه بالهجاء، فطلب جلساء الخليفة منه أنّ يسكت لكنه أبا السكوت، وذكرهم، بحادثة عمرو بن معدي كرب الزبيدي عندما أقبل نحو المسلمين، قد زحزحهم عن أماكنهم، وأخذ ينادي هل من مبارز، فأقبل عليه علياً كسوذنيق (الصقر) أو كصيخودة (صخرة) منجنيق، فقبض عليه، وأتى به إلى رسول الله (صلى الله عليه واله)، وعيناه تدمعان، وأنفه ترمع، وقلبه يجزع (المجلسي، ١٩٨٣، ج ٤٦، ص ٣٢٢).

المهم أنَّ عمرو بن معدي كرب لم يلبث طويلاً حتى رجع إلى حضيرة الاسلام، وطلب من خالد بن سعيد، أن يرجع لهُ امرأته وولده، فأرجعهم له، وكان عمرو حين وقف، بباب خالد، وجد خرافاً قد نحرت، فقام بجمع قوائمها ثم ضربها بسيفه، فقطعها، وكان يسمى سيفه الصمصامة[٥]، وقد كافئ عمرو خالد، واعطاه الصمصامة (الطبرسي، ١٩٩٦، ج١، ص ٢٥٢-٢٥٣).

وليس من السهولة أنَّ يتخلى الفارس عن سيفه، لذلك لما تسلح خالد السيف، ومضى نظر عمرو بن معدي كرب في قفاه، فقال:

خليلي لم أخنه ولم يخني على الصمصامة السيف السلام

(الفراهيدي، ١٩٨٩، ج٤، ص ١٤٢).

ولسان الرجل، وسيفه خليلاه في كلام العرب، وفي رواية أخرى أنهُ لم يندم على إعطائه سيفه؛ لآن الذي منحه إياه كان شجاعاً كريماً إذ قال حين وهبه له:

خليلي لم أهبه عن قلاة ولكن التواهب لكرام
خليلي لم أخنه ولم يخني كذلك ما خلا لي أو تدامي
حبوت به كريما من قريش فسر به وصين عن اللئام.

(البلاذري، ١٩٧٩، ج٥، ص ٤٣١)

روايته عن الرسول محمد (صلى الله عليه واله):

لم يروي عمرو بن معدى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سوى حديث واحد علمه فيه كيفية التلبية في حج بيت الله الحرام، وهي لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك (ابن عبد البر، ١٩٩٢، ج٣، ص ١٢٠٣).

حياته خلال العهد الراشدي:

روي أنهُ ألتقى بالخليفة أبي بكر، وقد عاتبه على ارتداده، وقال لهُ: لو نصرت هذا الدين لرفعك الله، قال: لا جرم لأقبلن ولا أعود، ورجع إلى قومه ثم عاد إلى المدينة، فسيره أبو بكر إلى الشأم، فشهد اليرموك (ابن الاثير، ٢٠٠٤، ج٤، ص ١٣٣).

وروي أنَّ سلمان بن ربيعة[٦]، عرض الخيل ليحدد قيمة عطائها، فجاء عمرو على فرس له، فقال له سلمان : أن فرسك هجين، فرفض عمرو ذلك، وقال: عتيق، فعمد سلمان إلى الفرس، فعطشه ثم جلب طست ماء ودعا بعتاق الخيل، فشربت، وجاء فرس عمرو، فثنى يديه، وشرب، وهذا عمل الهجين من الخيل، فنظر إليه سلمان، وقال له: ألا ترى ما فعل، وكان رد عمرو قاسياً إذ قال: اجل الهجين يعرف الهجين، فبلغ ذلك مسامع الخليفة عمر، الذي استنكر بشده هذا الجواب الفظ وهدد عمرو بعقوبة شديدة إذ ما اعادها (الاصفهاني، ٢٠٠٢، ج١٥، ص ١٤٤).

هذه الرواية تؤكدَّ شخصية عمرو التي تمتاز بالعصبية، وعدم قدرته على الانصياع للأوامر، وهو الذي قضى سنين عمره سيد قومه، وليس من السهولة أنَّ يتخلى الانسان عن طباعه التي طبع عليها.

ونقل عن عمرو بن معدي كرب أنَّ الخليفة عمر فرض لهُ ألفين إذ كان عمر يعمل الناس عشاء كل ليلة، فجاء عمرو، وأتخذ مكان في المائدة يقع قبالة الخليفة مباشرة حيث يراه، فلما بدأت، بالأكل نظر إلي عمر وقال: ما هذا الأكل؟ فقلت: إني كنت في الجاهلية آكل الجذعة بكاملها، فساعدني على بطني، وكان الخليفة بيده ألفين، فقلت: ألف هنا ، وألف هنا في إشارة إلى شقي بطنه الايمن، والايسر، فتبسم الخليفة، وزاده خمسمائة، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة (الاصفهاني، ٢٠٠٢، ج١٥، ص ١٤٤).

وعن أبي عامر التميمي قال: جاء عمرو على الخليفة عمر، وهو يطعم الناس، وكان يجهز لعشرة عشرة، فأجلس عمرو مع العشرة الاولى، الذين انهوا طعامهم، ونهضوا، وعمرو جالس لم يتزحزح من مكانه، فأجلس معه عشرة، الذين انهوا طعامهم، ونهضوا ايضا، وأجلس معه عشرة اخرى، فأكل معهم، ونهضوا، الذين انهوا طعامهم، ونهضوا، ونهض معهم، فأكل مع الثلاثين (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٤٦، ص ٣٨٦).

وكان دأب اشراف الكوفة أن يخرجوا إلى ظاهر المدينة ينشدون الأشعار، ويتسامرون، ويتذكرون أيام العرب، فوقف عمرو بجانب خالد بن الصقعب النهدي[٧]، فأقبل عليه يحاوره، وقال لهُ: هجمت على بني نهد، فقدموا علي، خالد بن الصّقعب ، فطعنته بالرمح فوقع، وضربته على هامته، بالصمصامة، فمات، فقال له الرجل: يا أبا ثور أنا القتيل الذي تحاوره (ابن حمدون، ١٩٩٦، ج٣، ص ٥٤).

يبدو أن عمرو قد التبست عليه الامور من كثرة غزواته، او فقد جزءً من ذاكرته نتيجة لكبر سنه، وهو امر وارد الحدوث، لكن خلف الأحمر[٨]، الذي كان شديد التعصب لليمن عند سؤاله عن عمرو: أكان يكذب ؟ قال: انهُ كان يكذب في المقال، ويصدق في الفعال (ابن حمدون، ١٩٩٦، ج١، ص ٥٤).

وجاء رجل يختبر قوة عمرو بعد أنَّ كبر، وهو واقف بالكناسة[٩] على فرس له، فقال: لاختبرن ما بقي من قوّة عمرو، فقام أدخال يده بين ساقيه، وبين السّرج ، واحس بها عمرو، فصكها عليه، وسار بفرسه يعدو، والرجل يعدو معه لا يستطيع أن يفلت يده حتّى إذا بلغ الجهد منه، فترجى عمرو أن يفلت يده، فخلَّى عنها، وقال لهُ أن عمك لا يزال قوياً (الاصفهاني،٢٠٠٢، ج١٥، ص ١٤٧).

جهوده في الفتوح الاسلامية:

قبل أنَّ نخوض في بلاءه الحسن في الفتوح الاسلامية أحببتُ أنَّ أذكر أبيات لهُ تبين رأيه في الحرب إذ قال:

الحرب أول ما تكون فتيّةٌ تسعى ببزّتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها ولّت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزّت رأسها، فتنكرت مكروهةً للشّمّ والتّقبيل

و كان العرب إذا وقعت الحرب، يأمرون، بحفظ هذه الأبيات (السهيلي، ١٩٨٩، ج٢، ص٣٠) .

بعد أنَّ استنهضت الخلافة همم أهل اليمن للمشاركة في الفتوح الاسلامية، كان عمرو بن معدي كرب في مقدمة من لبى داعي الجهاد، وكانت جبهة بلاد الشام وجهته الاولى إذ أبلى فيها بلاء حسن، فقد روي أنهُ شهد اليرموك (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٤٦، ص٣٦٤)، وقال ابن عباس أنَّ عمرو ذهبت عينه يوم اليرموك (البغدادي، ٢٠١٠، ج٤٦، ص٣٦٨.) وقال مالك بن عبد الله الخثعمي[١٠]: أني رأيت عمرو بن معدي كرب يوم اليرموك قد قتل ثلاثة من الروم، ثم انهزموا، وتبعهم، ثم انصرف وتبعته إلى خباء أسود عظيم، فدعا بالجفان(وعاء يوضع فيه الطعام)، وضيف من حوله (الذهبي، ١٩٨٥، ج٣، ص ١٤١).

ومن الجدير ذكره أنَّ المسلمين كانوا يخوضون القتال في اكثر من جبهة في آن واحد، وعندما يرون أنفسهم قد تغلبوا على عدوهم في جبهة ما فإنهم يقومون بتعزيز جبهة أخرى بالمقاتلين نظراً لقلة عددهم، وكان عمرو بن معدي كرب ممن جاءته دعوة الخلافة بضرورة الاسراع في دعم جبهة العراق، حيث كان المسلمين يخوضون معارك شرسة مع الفرس، وأول مهمة أنجزها هي عبوره بعسكر الاسلام بالبحر بالمدائن (قطب الدين الراوندي، ١٩٨٨، ج٢، ص ٩١٢)، وكان نهر دجلة

هائج في ذلك الوقت، وعملية عبوره ليست بالمهمة السهلة، إذ علمنا عدم توافر معدات العبور، إذ عمد الفرس على رفع المعابر، وضم السفن إليهم، ولم يكتفوا بذلك، وإنما حرقوا الجسر الوحيد الرابط بالمدائن، وما زاد الطين بلة أنَّ دجلة اسود ماؤها ورمت بالزبد في إشارة إلى ارتفاع مناسيب مياهه (ابن أعثم ،١٩٩٠، ج ١، ص ١٦٧).

وفي معركة القادسية (١٥هـ/٦٣٦م)، كان الفرس قد اعدوا العدة لمواجهة المسلمين، وجهزوا جيشاً قوامه مائة وعشرين ألفا، ومعهم الفيلة (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٤٦، ص٣٨٤)، وكان الخليفة عمر قد أمر سعد أن يرسل إلى كبير الفرس وفداً يدعونه إلى الإسلام، فوجَّه مع الوفد عمرو بن معدي كرب الزبيدي، فجرى بينهم وبين رستم كلام كثير، وقالوا إنّ نبينا بشرنا بالاستيلاء على أرضكم، فحضر بزبيل من تراب، واعطاه للوفد، فقام عمرو، وبسط رداءه، وأخذ من ذلك التراب، وانصرف، فقيل لهُ: مّا دعاك إلى مّا فعلت؟ قال: تفاءلت بأنّ أرضهم تصبح لنا ونغلب عليها (البلاذري، ١٩٧٩، ج٥، ص٤٣١)

وكان الخليفة عمر قد أرسل عمرو إلى سعد في القادسية، وقال لسعد: أمددتك بألفي رجل عمرو بن معدي كرب، وطليحة بن خويلد، فشاورهما في امور الحرب، ولا تولهما شيئا، إذ أبلى عمرو بلاء حسن (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٤٦، ص٣٨٥)، وكان رأي الخليفة أنَّ قيادة الجيوش يتولاها الصحابة، ولا يتولاها المرتدين رغم توبتهم واشتراكهم في الجهاد.

لقد عدَّ الخليفة عمر، عمرو بن معدي بألف رجل، ودون شك أنَ الخليفة ادرى برجاله، وأن اختياره، لعمرو بأن يكون مستشاراً لم يأتي من فراغ، وهو الفارس الذي قضى سنين عمره في القتال، لبى عمرو اوامر الخليفة، فكان أول من قدم على سعد في زهاء خمس مائة رجل (ابن اعثم،١٩٩٠، ج١، ص ١٣٨).

وروي أنَّ عمرو شارك في القادسية، وعمره مائة وست، وقيل مائة وعشرة. (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج٤٦، ص٣٩٧)، وهو امر طبيعي لكون الرجل مخضرماً، وقضى جل سنين عمره في الجاهلية، ورغم كبر سنة إلا أنهُ لم يشكل عائقاً في أن يقدّم صوراً ناصعةً من البطولة، سواء اكانت في جبهة بلاد الشام أم العراق.

تقدم سعد إلى عمرو بن معدى كرب، وقيس بن هبيرة، وشرحبيل بن السمط، وقال: إنكم شعراء، وخطباء وفرسان العرب، فدوروا في القبائل والرايات، وحرضوا الناس على القتال (ابن قتيبة الدينوري، ١٩٦٠، ص ١٢٢).

عن قيس بن أبي حازم قال شهدنا القادسية، فكان عمرو يشق الصفوف، فيقول: يا معشر المهاجرين كونوا أشداء، فإن الفارسي أغنى شأنه تيس بعد أن يلقي نيزكه، قال قيس: وفي القوم

أسوار (رامي سهام) لا تخطأ له نشابة، فقلنا له: يا أبا ثور أحذره فرماه الفارسي بسهم، فأصاب قوسه، فحمل عليه عمرو، واعتنقه، وذبحه، وسلبه سواري ذهب كانا عليه، ومنطقة ذهب بقباء ديباج (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٤٦، ص ٣٧٨)، وروي أنّ عمرو بارز رجلاً، فقتله ثم صاح بأبناء قبيلته، دونكم فإنّ الفرس يموتون (الاصفهاني، ١٩٩٠، ج ١٥، ص ١٤٥) في إشارة إلى أنَّ المقاتل الفارسي لا يتمتع بقوى خارقة، وإنما شأنه شأن بني البشر.

وروى احدهم بأنهُ رأى عمرو يوم القادسية، وهو يشجع الناس على القتال، وهو يقول: يا أيها الناس كونوا أسوداً انما الفارسي تيس، وفي هذه الاثناء رماه احدهم بنشابه، فأصابت سية قوسه، فكسرتها، فحمل عليه عمرو، فقتله (ابن ابي شيبة، ١٩٨٩، ج٨، ص ٩).

وخرج رجل من الفرس، فوقف بين الصفين يدعو للبراز، فخرج إليه عمرو، وحمل عليه، فاعتنقه ثم أخذ، بمنطقته، فاحتمله، فوضعه بين يديه، فجاء به حتى إذا دنا منا كسر عنقه ثم وضع سيفه على حلقه، فذبحه ثم ألقاه، فقال: هكذا فاصنعوا بهم، فقالوا: من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٤٦، ص ٣٧٩).

عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: شهدت القادسية، وكان القتال قد اشتدّ في احد أيامها بيننا وبين الفرس، ورأيت يومئذ احد المسلمين يفعل، بالعدوّ الأفاعيل، كان يقاتل فارسا ثم ينزل عن فرسه، ويربط المقود في حقوه، فيقاتل، فسألت من هذا؟ قالوا: هذا عمرو بن معد يكرب (الاصفهاني، ٢٠٠٢، ج١٥، ص ١٤٤).

وكان عمرو آخر القوم في بعض ايام القادسية، وسبب ذلك أن فرسه ضعيفة، فطلب غيرها، فجيء بفرس، فأمسكه من ذنبه، وضرب به الأرض، فقعد الفرس فردّه، وجيء بآخر، ففعل به مثل ذلك، فتحمل، ولم يقع أرضاً، فقبل به، وقال لأصحابه: إنّي سأهجم واعبر الجسر، فإن أسرعتم، وجدتموني، وسيفي بيدي أقاتل به الفرس، وإن أبطأتم، وجدتموني قتيلا بينهم، وقد قتلت، وجرّدت، فحمل على القوم، وحث احدهم بني زبيد على اللحاق به وعدم تركه وحيداً، فحملوا، ووصلوا إليه، وقد وقع عن فرسه، وقد امسك برجل فرس رجل من العجم ، وحاول الاعجمي عبثاً أن يحركها، فلما لم يستطع رمى بنفسه، وخلَّى فرسه، فركبها عمرو، وقال: أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٤٦، ص ٣٨٠).

وروى الشعبي أنّ عمرو قد قرر مهاجمة أحد الفيلة وطلب من أصحابه أن يمهلوه قليلاً قبل اللحاق به، فحمل على الفرس حتى اكثر فيهم القتل، فنشب غبار في ارض المعركة حجبه عن أصحابه، وقال بعضهم: ما تنتظرون، وكانوا يخشون فقدانه فبقتله يفقد المسلمون فارسهم، فهجموا، فأفرج المشركون عنه (مسكويه، ١٩٨٧، ج١، ص ٣٤٠).

واستمرت معركة القادسية أياماً عدة، وفي احد ايامها، وتحديداً بعد الظهر، حمل عمرو بن معدى كرب الزبيدي، فاعتنق عظيما من الفرس، فوضعه بين يديه في السرج وقال: أنا أبو ثور، افعلوا كذا. ثم حطم فيلا من الفيلة، وقال: الزموا سيوفكم خراطيمها، فإن مقتل الفيل خرطومه (البلاذري، ١٩٧٩، ج٢، ص ٣١٦).

وكانت خيل المسلمين تنفر من الفيلة يوم القادسية، وخيل الفرس لا تنفر، فقام عمرو بأمر احد المقاتلين بحمايته حتى يتقرب من الفيل، وبالفعل تمكن من التقرب من الفيل، فضرب خرطومه، فقطعها، ونفرت الفيلة، فحطمت العسكر، وهجمَ المسلمون عليهم حتى انهزموا شر هزيمة (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٤٦، ص٣٨٥).

وكان عمرو بن معدي كرب قد طلب من المقاتلين يوم القادسية أن يضربوا خراطيم الفيلة بالسّيوف، فإنه نقطة ضعفها، ثم هجمّ على رستم، وهو على الفيل، فضرب فيله في خرطومه، فسقط، وحمل الفرس رستم على فرس، وفي أثناء ذلك سقط من تحته خرج فيه أربعون ألف دينار، فأخذه المسلمون، وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه، فقتله عمرو(الاصفهاني، ٢٠٠٢، ج١٥، ص ١٤٦)، وفي رواية أخرى أن الذي قتل رستم زهرة بن حوية، او هلال بن علفة، ويقال: عمرو بن معدي كرب (ابن خياط، ١٩٩٣، ص ٩٠).

ودون أدنى شك أنَّ ما قام به عمرو بن معدي كرب من معرفة نقطة ضعف الفيلة وهو خراطيمها، كان هو مفتاح نصر المسلمين الذين كانوا يعانون كثيراً من الفيلة التي لم يألفوها قبل ذلك في حروبهم، ونتيجة لذلك انقلبت موازين القتال لصالح المسلين، فهزم الله المشركين، وقتل رستم.

ولما فتح الله للمسلمين يوم القادسية على عدوهم، وغنموا عسكرهم، وما فيه، قام سعد بقسمة الاموال بين الناس، وبقيت من المال بقية، فكتب إلى عمر بشأنها، فقال له: أعطها لحملة القرآن، فجاءه عمرو، فقال: ماذا تحفظ من القرآن، قال: شغلني الجهاد عن حفظه، فقال: مالك في هذا نصيب، فجاءه بشر الخثعمي، فقال: ما معك قال بسم الله الرحمن الرحيم، فلم يعطه شيئا، وأنشد عمرو شعراً بين فيه عظيم صنعه في المعركة، وكان يحمل في طياته عتاباً لسعد، فلما بلغه قوله كتب سعد بذلك إلى عمر، فقال: اعطهم بما يتناسب مع عظيم بلاءهم، فأعطى كل واحد (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٤٦، ص٣٨٢) .

عن جابر بن عبد الله، قال: كنا قد اتهمنا ثلاثة من أهل القادسية، أنهم يريدون الدنيا مع الآخرة ، فما رأينا منهم سوى الزهد، والامانة، وهم : طليحة بن خويلد، وعمرو بن معد يكرب، وقيس بن المكشوح (ابن قتيبة الدينوري، ١٩٦٠، ص ١٢٨).

جهوده في فتح جلولاء (١٦هـ/٦٣٧م):

بعد أن منْ الله على المسلمون، وفتحوا المدائن استقروا فيها أياما، ووصلت إلى اسماعهم أن معلومات تؤكد أن يزدجرد قد جهز جيشاً كبيراً ووجهه إليهم، وكان تجمع هذا الجيش في جلولاء، ورداً على ذلك جهز سعد بن أبي وقاص، جيشاً عدده اثنى عشر ألفا ونصب هاشم بن عتبة بن أبي وقاص قائداً عليه، سار هاشم بالجيش، وعندما وصل وجد الفرس قد تحصنوا، وحفروا خندقاً، ووضعوا عيالهم في خانقين، وحلفوا أن لا يفروا، وكانت الامدادات تصل إليهم تباعاً من حلوان، والجبال، عندئذ قرر المسلمون مهاجمتهم قبل أن تزداد تلك الامدادات، نظم هاشم جنده ووضع حجر بن عدي الكندي على الميمنة، وعمرو ابن معدى كرب الزبيدي على الخيل، وطليحة بن خويلد الاسدي على الرجال، وكان قائد الفرس يومئذ خرزاد أخو رستم، تقابل الجيشان واقتتلوا قتالا شديدا رمياً بالنبل، وطعناً بالرماح، وتضاربوا، بالسيوف حتى انثنت، ثم قرر المسلمون أن يحملوا حملة رجل واحد، وتمكنوا فيها من قلع الفرس من أماكنهم، وهزموهم شر هزيمة، وولوا هاربين، وعمد المسلمون إلى مطاردتهم، فقتلوا منهم اعداد كبيرة، ولم يتركوهم إلا بعد حلول الظلام إذ رجع المسلمون إلى معسكرهم (البلاذري، ١٩٧٩، ج٢، ص ٣٢٤).

جهوده في معركة نهاوند (٢١هـ/٦٤١م):

شعر الفرس، بالخطر الذي يشكله المسلمون عليهم، لا سيما بعد الخسائر التي منيوا فيها في المعارك التي وقعت في العراق، لذلك كان الرأي أنَّ يتم تجهيز جيش كبير من كل ولايات بلاد فارس، وبالفعل تمكنوا من تجهيزه، وساروا نحو أرض نهاوند في مائة وخمسون الفاً (ابن اعثم ، ١٩٩٠، ج ٢، ص ٢٩١)، اما المسلمون، فقد حشدوا جيشاً قوامه ثلاثين ألفا، وضمَّ بين جنباته سادات من الصحابة، ورؤوس العرب، وكان فيهم عمرو ابن معدي كرب الزبيدي (ابن كثير، ١٩٨٨، ج٧، ص١٣٣).

وقع الاختيار على عمرو بن معدي كرب على القيام، بالكشف عن طبيعة المنطقة، وهو امر شبيه بما يطلق عليه اليوم بسرايا الاستطلاع، تقدم عمرو وسار بعيداً، ولم يرَ أحداً من الفرسِ، لذلك قرر العودة خشية، أن يؤخذ عليه الطريق (ابن كثير، ١٩٨٨، ج٧، ص ١٣٣).

تحرك جيش الفرس حتى انتهى إلى نهاوند، ونظموا صفوفهم فيها، وتعاهدوا ألاّ يفرون أبدا دون أن يبيدوا العرب عن آخرهم (مسكويه ، ١٩٨٧، ج ١، ص ٣٨١). بدأ القتال، وكان سجالاً لمدة يومان، وعلى أثر ذلك تحصن الفرس في المدينة، الامر الذي دفع النعمان بن مقرن قائد جيش المسلمين إلى التشاور مع أهل الرأي في امر القتال، وكيف تكون الخطة في جذب الفرس وذهبوا في آراء شتى حتى وصل الدور إلى عمرو بن معدي كرب، الذي أقترح مواصلة حصار الفرس

مع الهجوم عليهم باستمرار، لم يعجب رأي عمرو المسلون، وقالوا: إنما تناطح بنا الجدران، والجدران أعوان للفرس علينا (ابن كثير، ١٩٨٨، ج٧، ص ١٣٤).

مرت أيام عدة، والطرفان على ذلك، وبدت الجبهة تعاني الجمود، إذ كان الفرس متحصنين في مدينتهم، والمسلمين اصابهم الملل، فأخذ عمرو زمام المبادرة، و قال: يا معشر المسلمين ما أشبه هذا اليوم، بيوم القادسية، وبث في نفوس المسلمين الحماسة، وذكرهم أن النصر لمن صبر، فاحملوا، ولا تفشلوا كانت تلك الكلمات كفيلة بأن تبث العزيمة في الصفوف، فما بقي أحد إلا وحمل، ولما نظر إليهم عمرو، حمل معهم، واقتتلوا ساعة مع الفرس حتى أزالوهم عن أماكنهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة (ابن اعثم، ١٩٩٠، ج٢، ص ٣٠٦).

أسفر القتال عن استشهاد امير جيش المسلمين النعمان بن مقرن، وقد اخفي خبر مقتله ثلاثة ايام حتى لا تتأثر معنويات المسلمين، وأقترح عمرو بن معدي كرب مواصلة الهجوم على الفرس وكانت الخشية من أن يستثمر الفرس مقتل النعمان بن مقرن، ويرسلوا جيشاً جديداً لفك حصار قواتهم في نهاوند وهو أمر يشكل خطراً كبيراً على المسلمين، لذلك دعا عمرو إلى القيام بهجوم واسع يكفل للمسلمين دخول المدينة قبل غروب الشمس، استمع طليحة بن خويلد الأسدي إلى خطاب عمرو، وأيده في كل في ذهب إليه (ابن اعثم، ١٩٩٠، ج٢، ص ٣٠٦).

حمل عمرو على الفرس وكان على يقين بمقتله في هذا اليوم، لصعوبة المعركة وضخامة أعداد الفرس، وكان قد عقد العزم على النصر او الاستشهاد، ثم نزل عمرو عن فرسه ولوح بسيفه الصمصامة، فجعل يهزها، ثم كبر، وحمل، وحمل معه فرسان المسلمين على جموع الفرس، فلما خالطهم عثر به فرسه، فسقط إلى الأرض، وأحاطت به الفرس من كل صوب، فلم يزل يقاتل حتى انكسرت الصمصامة في يده، وكان يملك سيفاً غيره وهو ذي النون، فلم يزل يقاتل به حتى انكسر في يده، فعند ذلك يقن أنه مقتول، وكان المسلمون يحملون على الفرس، وليست لهم طاقة بهم ؛ لكثرة جمعهم، وقام بهرزاد الفارسي بمهاجمة عمرو بن معد يكرب، فضربه على رأسه، فخر صريعا، واحاطته الفرس، وضربوه بالسيوف حتى قطعوه إربا إربا (ابن اعثم، ١٩٩٠، ج٢، ص ٣٠٧).

ورد في الرواية التي ذكرت آنفاً معلومة تتعلق بسيف عمرو الصمصامة، إذ قلنا في صفحات متقدمة من هذا البحث أنهُ اهداء إلى خالد بن سعيد الذي استشهد في معركة مرج الصفر في جبهة بلاد الشام، ويبدو أنَّ ذوو خالد قد اعادوا السيف إلى عمرو الذي كان متواجداً آنذاك في تلك الجبهة، فهو خير من يحمله للذود عن حمى الاسلام، والسيف بالأصل ملكه، وقد كان يشعر بالحزن على مفارقته، وقد بين ذلك في ابيات من الشعر ذكرناها سابقاً.

وفاته:

بيَّنا سابقاً أن عمرو استشهد في معركة نهاوند، وقد قطع بالسيوف، لكن في رواية أخرى تبين أنهُ قاتل حتى تحقيق الفتح، لكنه اثخن بالجراح، وتم حمله، وأتته المنية، بقرية من قرى نهاوند تسمى روذة (ابن الاثير ، ١٩٩٢، ج٤، ص ١٣٣) أي انهً لم يقطع إرباً كما ذهبت إليه الرواية الاولى، وإنما جرح جراحات كثيرة، وبقى على قيد الحياة، وحمل إلى قرية خارج مدينة نهاوند تقع بالتحديد بين قم والري.

وروي أنه كان مع المسلمين في الريّ ودستبى، ونزل خان يقع دون روذة ، وتناول القوم وجبة الغداء ثم ناموا قليلاً، وبعد أن نهضوا قام كلّ واحد منهم لقضاء حاجته، وكان عمرو إذا أراد أن يقضي حاجته لا يجرؤ أحد أن ينادي عليه، وإن أبطأ، ويبدو أته كان يعاني من عسر الهضم نتيجة لكثرة ما يأكله، وقرر الناس الرحيل، ولم يبق سوى من كان في الخان الذي فيه عمرو، فلما تأخر بالعودة صاحوا به: يا أبا ثور، فلم يجبهم، وسمعوا صوتاً شديدا، قادماً من الموضع الذي دخله، فذهبوا إليه، فوجدوه محمرة عيناه، مائلا شدقه مفلوجا، فحملوه على فرس، وجاءوا بغلام قوي الذّراع، ليعدل ميله، فمات بروذة، ودفن في قارعة الطريق (الاصفهاني، الاغاني، ج١٥، ص ١٤٨.)، فقالت امرأته الجعفية ترثيه :

قد غادر الركب الذين تحملوا بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا
فإن تجزعوا لا يغن ذلك بعده ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا.

(ياقوت الحموي، ١٩٧٩، ج٣، ص ٧٩).

والغريب في هذه الرواية أن عمرو قد خرج مجاهداً إلى مدينة الري، وانهُ لم يعاني من أي جراح في نهاوند لكن وافته المنية بسبب تعرضه لازمة صحية، وهو أمر قابل للنقاش إذا عرفنا أنهُ رجلاً طاعن في السن، وفي رواية أخرى أنَّ عمرو مات عطشاً في معركة القادسية (ابن كثير، ١٩٨٨، ج٧، ص١٣٤)، وهو أمر مستبعد كون الرجل قد شارك في فتح جلولاء، ونهاوند، وهو أمر اثبتته المصادر التاريخية، والراجح أنهُ أستشهد في نهاوند سواء قطع إرباً او اثخنته الجراح ومات بعدها.

قال احد الشعراء معزياً بموته :

فقل لزبيد بل لمذحج كلّها رزيتم أبا ثور قريعكم عمرا.

(السهيلي، الروض الأنف، ج١، ص ٦٠).

الخاتمة:

بعد هذا العرض الموجز عن عمرو بن معدي كرب الزبيدي، تمخض البحث عن النتائج الآتية:

١– كانت حياة عمرو بن معدي كرب في الجاهلية زاخرة ببطولاته.

٢– لقب بألقاب عديدة، وتلك الالقاب لم تطلق جزافاً، وإنما استحقها الرجل نظير بطولاته.

٣– أدرك الاسلام، وأسلم على يدي النبي محمد(صلى الله عليه واله)، لكنه أرتد لقصر نظره، وسيادة حياة الجاهلية المبنية على طلب الثأر عليه.

٤– بعد ارسال حملة من قبل النبي محمد (صلى الله عليه واله)، بقيادة الإمام علي(عليه السلام) إلى من أرتد، واجه عمرو تلك الحملة لكنه هرب من ساحة المعركة، وبعدها رجع واحسن اسلامه.

٥– روى عن النبي محمد(صلى الله عليه واله) حديثاً واحداً.

٦– كان عظيم الخلقة، نهم يحب الطعام، بشراهة، وسبب ذلك ضخامة جسمه الذي يحتاج إلى غذاء كبير.

٧– سيادة روح النفسية العصبية على الكثير من مواقفه، فهو لم يأنف أنَّ يكون تحت قيادة أمرة احد الاشخاص لذلك كثرة مواقف المواجه بينه وبين مرؤوسيه.

٨– شارك في فتوح بلاد الشام، والعراق، وفارس، وأبلى فيها البلاء الحسن.

٩– ختامها مسك، أنهى الرجل حياته شهيداً في معركة نهاوند إذ أصيب بجراح كثيرة لم تمهله كثيراً.

الهوامش

(١) هو دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان بن ذهل الشيباني الذهلي النسابة يقال له صحبة، قيل إن دغفل بن حنظلة غرق في يوم دولاب في قتال الخوارج سنة سبعين. ينظر، (ابن حجر، ١٩٩٥، ج٢، ص ٣٢٥–٣٢٦).

(٢) هو مكيال ضخم لأهل العراق، وكان هذا المكيال يساوي في المدينة ١٢ لتر . ينظر، (الفراهيدي، ١٩٨٩ ، ج٥، ص ١٤٨)؛ (هانتس، ١٩٧٠، ص ٦٤).

(٣) الصاعُ : مِكيالٌ لأَهل المدينة يأْخذ أَربعة أَمدادٍ ، يذكر ويؤنث ، فمن أَنت قال : ثلاث أَصْوُعٍ مثل ثلاث أَدْوُرٍ. ينظر، (ابن منظور، ١٩٨٤، ج٨، ص ٢١٥).

(٤) (الاصفهاني ٢٠٠٢، ج ١٥، ص ١٤٣).

(٥) كانت الصمصامة المشهورة حديدة، وجدت مدفونه في الجاهلية عند الكعبة، وقد صنع منها ذو الفقار الصمصامة ، ثم تصيرت إلى خالد بن سعيد بن العاصي، وهبها له عمرو . ينظر، (السهيلي، ١٩٨٩، ج١، ص٦١).

(٦) هو سلمان بن ربيعة الباهلي ، أحد بنى قتيبة بن معن بن مالك ، كوفي، صحابي، كان يلي الخيل لعمر ، وكان يقال له سلمان الخيل. ينظر، (ابن عبد البر، ١٩٩٢، ج٢، ص ١٣٢).

(٧) هو خالد بن الصقعب النهدي، شاعر من الفرسان في الجاهلية، ومن أشراف الكوفة ، في صدر الاسلام. ينظر، (الزركلي، ١٩٨٥ ج ٢، ص ٢٩٧).

(٨) هو خلف بن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر، راوية ، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة ، وهو معلم الأصمعي، ومعلم أهل البصرة. ينظر،(الزركلي، ١٩٨٥، ج٢، ص ٣١٠).

(٩) وهي محلة بالكوفة. ينظر، (ياقوت الحموي، ١٩٧٩، ج ٤، ص ٤٨١).

(١٠) هو مالك بن عبد الله بن سنان بن سرح بن وهب بن الأقيصر الخثعمي من أهل فلسطين قيل إن له صحبة وهو المعروف بمالك السرايا كان كثير الغزو، قاد الصوائف أربعين سنة. ينظر، (ابن عساكر، ١٩٩٥، ج ٥٦، ص ٤٦٦).

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الاثير، عز الدين أبى الحسن علي (١٩٩٢)، **اسد الغابة في معرفة الصحابة**، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الاصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين (٢٠٠٢)، **الاغاني**، تحقيق، ط١، دار صادر، بيروت.

ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي (١٩٩٠)، **الفتوح**، ط١، دار الاضواء، بيروت.

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (١٩٧٩)، **أنساب الأشراف**، ط١، جمعية المستشرقين الألمانية، بيروت.

(١٩٥٦)، **فتوح البلدان**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

البخاري، إسماعيل بن إبراهيم (١٩٦٥)، **التاريخ الكبير**، ط١، المكتبة الاسلامية، ديار بكر.

البغدادي، محمد بن حبيب (٢٠١٠)، **المحبر**، ط١، دار الآفاق، بيروت.

الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر(٢٠٠٤)، **البخلاء**، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

ابن الجوزي، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي (١٩٩٢)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (١٩٦١)، **شرح نهج البلاغة**، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة .

ابن حجر، احمد بن علي، (١٩٩٥)، **الاصابة في تمييز الصحابة**، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

ابن حمدون، محمّد بن الحسن (١٩٩٦)، **التذكرة الحمدونية**، ط١، دار صادر، بيروت.

الخراساني، سعيد بن منصور بن شعبة (١٩٩٢)، **سنن سعيد بن منصور**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (١٩٩٦)، **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان**، ط١، دار الثقافة، بيروت.

ابن خياط، ابي عمرو خليفة العصفري (١٩٩٣)، **طبقات خليفة**، ط١، دار الفكر، بيروت.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (١٩٨٧)، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت.

الزركلي، خير الدين (١٩٨٥)، **الاعلام** ، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت.

ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (١٩٨٦)، **الطبقات الكبرى**، ط١، دار صادر، بيروت.

ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن أحمد (١٩٨٦)، **السيرة النبوية (عيون الأثر)**، ط١، مؤسسة عز الدين، بيروت.

ابن سيدة، علي بن إسماعيل (١٩٩٦)، **المخصص**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (١٩٨٩)، **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، ط١، دار الفكر، بيروت.

ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ (١٩٥٦)، **مناقب آل أبي طالب**، ط٢، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

ابن ابي شيبة، عبد الله بن محمد الكوفي (١٩٨٩)، **المصنف**، ط١، دار الفكر، بيروت.

الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (١٩٩٣)، **سبل الهدى والرشاد**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (١٩٩٢)، **الاستيعاب في معرفة الاصحاب**، ط١، دار الجيل، بيروت.

ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن (١٩٩٥)، **تاريخ مدينة دمشق**، ط١، دار الفكر، بيروت.

الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن (١٩٩٦)، **إعلام الورى بأعلام الهدى**، ط١، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، قم.

الطبري، محمد بن جرير(١٩٨٣)، **تاريخ الامم والملوك**، ط ٤ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت .

العاملي، علي بن يونس (١٩٦٤)، **الصراط المستقيم**، ط١، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، قم.

ابن الفقيه الهمذاني، احمد بن محمد (١٩٩٦)، **البلدان**، ط١، دار الكتب، بيروت.

الفراهيدي، الخليل بن احمد (١٩٨٩)، **العين** ، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، قم .
ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (١٩٦٠)، **الاخبار الطوال**، ط١، دار احياء الكتب العربي، القاهرة.
قطب الدين الراوندي، أبو الحسين سعيد (١٩٨٨)، **الخرائج والجرائح**، ط١، مؤسسة الإمام المهدي، قم.
ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (١٩٨٨)، **البداية والنهاية** ، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
المجلسي، محمد باقر(١٩٨٣)، **بحار الانوار**، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت.
مسكويه، احمد بن محمد (١٩٨٧)، **تجارب الامم**، ط١، دار سروش، طهران.
ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد (١٩٨٤)، **لسان العرب**، ط١، نشر ادب الحوزة، قم.
المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (١٩٩٣)، **الارشاد**، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت.
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (١٩٨٧)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط١، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة.
الميجاني، الاحمدي،(١٩٩٥) **مواقف الشيعة**، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم .
هانتس، فالتر (١٩٧٠)، **المكاييل والاوزان الاسلامية**، ط١، الجامعة الاردنية، عمان.
الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (١٩٨٨)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله (١٩٧٩)، **معجم البلدان**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.